﴿هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الجاثية: 11]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

الوقاية من العذاب في أن يكون القرآن هو الهادي

لمّا أخبر عمّن أعرضَ عن الآيات بما هو أجلُّ موعظةٍ وأردعُ زاجرٍ عن الضَّلالِ، قال مشيراً إلى ما افتتح به الكلام من المتلوِّ الّذي هذا منه ﴿هَٰذَا هُدًى﴾ الآيةَ[1]، ليفيد أنَّ الهدى قريب منهم حاضر بين أيديهم.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿رِّجْزٍ﴾: أصلُ (رجز) يدلُّ على الاضطرابِ والمَيْلِ، يُقال: تَرَجَّزَ الرَّجُلُ: إذا مالَ وتَحَرَّكَ تَحَرُّكاً بَطِيئاً[2]، والرِّجْزُ - بِكَسْرِ الرّاءِ وضمِّها -: العَذابُ، وقيل: هو العَمَلُ الّذي يُؤَدِّي إلى العَذابِ[3]، ورِجْزُ الشَّيْطانِ: وساوِسُهُ، ويأتي الرِّجْزُ والرُّجْزُ بمعنى الصَّنَمِ والوَثَنِ، وقيل: عِبادَة الأوثانِ، وقيل: هو الشِّرْكُ مُطْلَقاً[4]، ومن معانيه أيضًا: الإثْمُ، والقَذَرُ، والرِّجْسُ[5]، والمقصود بالرِّجْزِ في الآية: أشَدُّ العذابِ[6].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

القرآن الكريم هدًى للبشريّة من الضَّلالة

يختم الحقُّ تعالى آيات الوعيد مبيِّنًا سبحانه أنَّ هذا القُرآنَ يُبَيِّنُ الحَقَّ مِن الباطِلِ، ويَدُلُّ مَن اتَّبَعه إلى الصِّراطِ المُستَقيمِ، والَّذين كَفَروا بآياتِ القُرآنِ الدّالَّةِ على الحَقِّ، فلم يُؤمِنوا ويَعمَلوا بها: لهم عَذابٌ مِن جنسِ العذابِ الموجِعِ شَديدِ الإيلامِ[7].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 8/ 73.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رجز).
(3) ابن دريد، جمهرة اللغة: (رجز).
(4) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (رجز).
(5) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (رجز).
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 335.
(7) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 21/ 78، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 16/ 159، و160، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 265.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

مناسبة الفصل في الآية:

التّعجيب من حـالِ الّـذيـن يكفرون بآيات الله وهي هدًى لهم

جاءت جملة ﴿هَٰذَا هُدًى﴾ على طريق الفصل؛ لأنَّها استئناف ابتدائيٌّ[1]، فانتقل بالكلام من وصف القرآن في ذاتِه بأنَّه منزَّل من عند الله وأنَّه من آيات الله الباهرة المعجزة إلى وصفِه بأفضل صفاتِه بأنَّه هدى[2]؛ ليومئ إلى التّعجيب من حالِ الّذين يكفرون بآيات الله وهي هدًى لهم.

دلالة اسم الإشارة هذا:

اسم الإشارة ﴿هَٰذَا﴾ يشير إلى القرآن بقرينة العطف في قولِه ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾؛ فإنَّ آياتِ ربِّهم هي القرآن.

من عجيب أمر الكافرين أن يتركوا الهدى القريب منهم إلى الضّلال البعيد

عبّر باسم الإشارة ﴿هَٰذَا﴾ لتمييز المشار إليه - وهو القرآن - أكمل تمييز، فهو كالشّيء المشاهد؛ لأنّه في حال النّزول والتّلاوة، ولِأَنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنْ أَوْصافِهِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ وقَوْلِهِ: ﴿تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ﴾ إِلَى آخِرِهِ ما صَيَّرَهُ مُتَمَيِّزًا شَخْصًا بِحُسْنِ الإِشارَةِ إِلَيْهِ[3]، وجيء باسم الإشارة للقريب للإشعار بقربِه من المخاطبين؛ لأنَّه متلوٌّ عليهم، ولمّا أخبر عنه بأنَّه هدى أفاد قربهم من الهدى؛ ليفيد أنَّهم بجهلِهم وعنادِهم تركوا الهدى القريب منهم إلى الكفر والضّلال.

فائدة الإخبار بالمصدر ﴿هُدًى﴾ دون اسم الفاعل:

لتضمّن القرآن كـلَّ أسـبـاب الـهـدى في جميع جهاتِه كان الكامل في الهداية

أخبر عن ﴿هَٰذَا﴾ المشار به إلى القرآن بالمصدر ﴿هُدًى﴾، وكان مقتضى الظّاهر أن يخبر باسم الفاعل بأن يقال: هذا هادٍ، ولكن عدل عنه إلى المصدر للمبالغة، فإنَّه لتضمُّنه كلَّ أسباب الهدى في

(1) الشوكاني، فتح القدير: 5/ 7.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 334.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 334.

جميع جهاتِه كان الكامل في الهداية فكأنَّه هو الهداية نفسُها، ولمّا كان القرآن هدىً أفاد أنَّه يهدي من اتّبعه وعمل به إلى الحقِّ وإلى صراط مستقيم.

الغرض من تنكير الخبر ﴿هُدًى﴾:

كمال القرآن في هدايته

جاء الخبر نكرة ليفيد التّعظيم والكمال، والمعنى هذا القرآن كامل في الهداية، كما تقول: زيد رجل، أي: كاملٌ في الرُّجوليَّة[1].

مناسبة الوصل بالواو:

الّـذيـن كـفـروا بآيات ربِّهم قد ضلّوا عن الهدى

جاء قولِه تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ بطريق الوصل بالواو لاشتراك المعطوف والمعطوف عليه في كونِهما جملتين اسميّتين وفي الجهة الجامعة، وبيانها أنَّه لمّا ذكر أنَّ هذا القرآن هدى، دلَّ على أنَّه يهدي من الضّلال، ليفيد بلازمِه أنَّ الّذين كفروا بآيات ربِّهم قد ضلّوا عن الهدى، فبين المعطوف والمعطوف عليه تضادٌّ ظاهر، ليكون ما بينهما من الاشتراك من قبيل الجامع الوهميّ، ومن مناسبات الوصل كذلك أنَّ القرآن من جملة آيات اللّه وأنَّه مذكّرٌ بها، فالّذين كفروا بآيات اللّه كفروا بالقرآن الّذي هو هدى كفروا بالقرآن الّذي هو مبيّن لآيات اللّه[2].

مناسبة التّعبير بالاسم الموصول وصلتِه:

الـكـفـر بـآيـاتِ ربِّ العالمين هو سبب الإيـعـادِ بعذاب من رجز أليم

عبّر بالاسم الموصول وصلتِه في قولِه ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ للإيذانِ بوجه بناء الخبر وسببه، بمعنى أنَّ كفرَهم بآياتِ ربِّهم هو سبب إيعادِهم بعذاب من رجز أليم، فإنَه لمّا قال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ أومأ إلى أنَّ الخبر المبنيِّ عليه فيه إيعادٌ بالعقاب، كما يقال: الّذين آمنوا لهم درجات النّعيم والّذين كفروا

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 672، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 106، والنسفي، مدارك التنزيل: 3/ 300.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 334.

لهم دركات الجحيم، كما أنَّ في ذكر الصّلة توجيهًا لذهن السّامع إلى ما سيخبر به منتظرًا وروده عليه، فيأخذ منه مكانَه إذا ورد؛ ليفيد تقريرَ المعنى وتثبيتَه في الذّهن، وفي ذكر الصّلة تمهيدٌ لتسجيل الكفر عليهم بآيات ربِّهم كما سيأتي[1].

دلالة التّعبير بالفعل ﴿كَفَرُواْ﴾:

مقتضى كون القرآن هدى أن يقابله النّاس بالإيمان لا بالكفر

استُحضر الكفّار في هذا المقام بعنوان الكفر في قولِه ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ دون عنوانَي الإصرار والاستكبار اللذين استُحضِروا بهما في قولِه ﴿ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا﴾ لأنَّ الغرض هنا النّعيُ عليهم لإهمالِهم الانتفاع بالقرآن الذي هو هدى، فهو النّعمة العظمى التي أنزلها الله عليهم وعلى جميع العباد، فكان مقتضى كونِه هدى أن يقابلوا آيات الله بالإيمان لا بالكفر، لكنَّهم قابلوها بالكفران عوضًا عن الشّكر[2]، ولهذه المناسبة جاء الفعل بصيغة الماضي، للإيذان بتحقّق وقوع كفرِهم.

مناسبة المقابلة بين الهدى والكفر:

من بديع المقابلة في القرآن أن يأتي الكلام بذكر الشّيء وما يكون مآلَ مقابلِه

لمّا ذكر الهدى قابله بالّذين كفروا، فقال تعالى: ﴿هَٰذَا هُدٗىۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ لتكون المقابلة من باب ذكر الشّيء وما يكون مآلَ مقابلِه ونتيجة له، فحذف من الأوّل ما يقابل الكفر وهو الإيمان، وحذف من الثّاني ما يقابل الهدى وهو الضّلال، فكأنَّه وصف المهتدي بالإيمان والكافر بالضّلال، وبيَّن أنَّ القرآن هدى من الضّلالة، كما أنَّه لمّا أوعد الكافرين الّذين ضلّوا عن الهدى بكفرِهم بآيات ربِّهم بعذاب من رجزٍ أليم أفادَ أنَّ من يهتدي بالقرآن له ضدُّ ذلك، وهو أن يكون له جنَّة نعيم ففي المقابلة تكثيرٌ لِلمعنى، وبيان لوجه هداية القرآن.

(1) السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 182.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 334.

سبب إيثار الإظهار على الإضمار:

إظهار كفرهم وتقبيحهم

كان الظّاهر الإضمار بأن يقال: (والّذين كفروا به) أي: بالقرآن، لقرب ذكرِه، ولكن عدل عنه إلى الإظهار فقال: ﴿بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾ لتسجيل كفرِهم عليهم ولزيادة التَّشنيع عليهم وتفظيع حالهم[1].

فائدة الباء في ﴿بِـَٔايَـٰتِ﴾:

أيُّ استهزاء بآيات الله سواء أكان قليلًا أو كثيرا فهو كفر

الباء في قولِه: ﴿بِـَٔايَـٰتِ﴾ للملابسة، أي: لابس كفرهم آيات الله تعالى، ليفيد اللّفظ أنَّ أيَّ كفرٍ يلابس آيات الله فلصاحبِه عذاب من رجزٍ أليم، فيشمل أيَّ استهزاء بآيات الله قليلا أو كثيرا.

فائدة الإضافة إلى عنوان الربوبيَّة:

التّعجيبُ من حال الكافرين لمقابلتِهم إحسان ربِّهم بالكفر بآياتِه

الإضافة في قولِه: ﴿بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾ على معنى الاختصاص، لتفيد الإضافة تعظيم الآيات لإضافتِها إلى عنوان الرّبوبيَّة، وأوثر إضافة الآيات إلى ﴿رَبِّهِمْ﴾ دون أن يقال: (بآيات الله) كما تقدَّم في الآيات السّابقة للإشعار بنعمة الله عليهم وإحسانِه إليهم بهذه الآيات وبغيرِها من النّعم المتوالية، ففيه توبيخ لهم على كفرِهم واستهزائِهم بآيات ربِّهم المربّي لهم المحسن إليهم، كما أنَّ فيه تعجيبًا لمقابلتِهم إحسان ربِّهم بالكفر بآياتِه.

الغرض من تقديم المسند على المسند إليه:

الاهتمام ببيان مصيرهم المحتوم وتخصيص العذاب بهم

قدِّم الخبر المسند، وهو الجارّ والمجرور ﴿لَهُمْ﴾ على المبتدأ المسند إليه ﴿عَذَابٌ﴾ للاهتمام بالخبر، فإنَّ العذاب الأليم موجود وحاضر ولكنَّ الذّهن متوجّه إلى من سيكون له هذا العذاب، فقدَّم المقصود لأنَّه أولى بالعناية والاهتمام، كما أنَّ في التّقديم نوعَ تخصيص، فكأنَّ العذاب الأليم لا يكون إلّا لهم لعظيم كفرِهم بآيات ربِّهم، كما أنّ في تأخير المسند إليه رعايةً لفاصلة الميم في قوله ﴿أَلِيمٌ﴾.

(1) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 17/ 419، والآلوسي، روح المعاني: 13/ 142.

فائدة اللّام:

اختصاص العذاب بهم

اللّام في ﴿لَهُمْ﴾ للاختصاص، لتفيد اختصاصهم بعذاب من رجزٍ أليم، وهو اختصاص إضافيٌّ كما سبق، فإنَّ مثل هذا العذاب قد يكون لغيرِهم أيضًا، وإنّما خصَّه بهم لقبح فعلِهم كما تقدَّم.

فائدة تنكير ﴿عَذَابٌ﴾:

جاء لفظ ﴿عَذَابٌ﴾ نكرةً لتعظيم العذاب وتفخيمِه، بمعنى انَّه عذاب ليس كسائر أنواع العذاب الذي يكون في الدّنيا.

فائدة ﴿مِّن﴾:

للكافرين عذابٌ دونه أيُّ عذاب

تحتمل ﴿مِّن﴾ في قولِه ﴿مِّن رِّجْزٍ﴾ أن تكون بيانيَّة، لتفيد بيان نوع العذاب، أي: فهو من رجزٍ، والرّجز، أسوأ العذاب وأغلظه وأشدّه[1]، كما تحتمل أن تكون للتّبعيض أي عذاب ممّا يسمّى رجزًا، وعلى الوجهين فالمراد من العذاب أغلظه وأشدّه، فالّذي يكفر بآيات ربِّه له عذاب غليظٌ جدًّا مؤلِمٌ ليس كسائر العذاب.

توجيه القراءات القرآنية:

غلظُ العذاب وشدّة إيلامه

قرأ ابن كثيرٍ، وحفص عن عاصم، ويعقوب ﴿عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ برفع ﴿أَلِيمٌ﴾، وقرأ الباقون بالجرِّ (أليمٍ)[2]، وتوجيه قراءة الرّفع على أنَّ ﴿أَلِيمٌ﴾ صفة لـ: ﴿عَذَابٌ﴾ فيكون المراد وصف العذاب بوصفين أحدهما أنَّه ﴿مِّن رِّجْزٍ﴾ والثّاني أنَّه ﴿أَلِيمٌ﴾، ولمّا كان العطف على معنى المغايرة بين المعطوفين أفاد الرّجز غير الأليم، أي: هو عذاب موصوف بالغلظة فيه وبأنَّه موجع، وتوجيه قراءة الجرِّ على أنَّ (أليمٍ) صفةٌ لـ: ﴿رِّجْزٍ﴾، فيكون قد وصف العذاب بأنَّه من رجزٍ، ثمَّ وصف الصّفة أي ﴿رِّجْزٍ﴾ بأنَّه (أليمٍ)، وعلى الوجهين فالمراد شدّة العذاب في الإيجاع والإيلام.

(1) النّحاس، إعراب القرآن: 4/ 94، ومكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية: 10/ 6773.
(2) الأزهري، معاني القراءات،: 2/ 288، وابن الجزري، النشر: 2/ 349.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والخمسون،
سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 54 ، 802 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-655-02-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 54 : المجلد الرابع والخمسون، سورة الزُّخرُف من الآية 37 إلى سورة الجاثِية الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-02-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8769435 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"